بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٤ -

عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ

أبو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ

رضي الله عنه

هُـوَ عَبْـدُ اللَّهِ بـنُ قَيْسٍ بـنِ سُلَيْمٍ بنِ حَضَّارٍ بـنِ حَرْبٍ بنِ عَامِرٍ وَيَنْتَهِي نَسَبُـهُ إلَـى كَهْـلاَنَ بـنِ سَبَإٍ بـن يَشْجُبٍ بنِ يَعْرُبٍ بنِ قَحْطَانَ.

أُمُّهُ ظَبْيَةُ بِنْتُ وَهَبٍ مِنْ قَبِيلَـةِ عَكٍّ، وَكَانَـتْ قَدْ أَسْلَمَـتْ بِالمَدِينَةِ وَمَاتَتْ بِهَا.

جَاءَ إلَى مَكَّةَ وَهُوَ فِي مُقْتَبَلِ العُمْـرِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عُمْـرُهُ لِيَزِيدَ عَلَى أَرْبَعَةَ عشَـرَ عَامـاً، فَحَـالَفَ سَعِيدَ بـنَ العَـاصِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي أُحَيْحَةَ الَّذِي كَانَ أَبْنَاؤُهُ خَالِدٌ وَعَمْرُو قَدْ أَسْلَمَا فَتَأَثَّرَ أَبُو مُوسَى بِهِمَا وَأَسْلَمَ، وَلَمَا قَسَا أَبُو أُحَيْحَةَ عَلَى وَلَدَيْهِ غَادَرَ أَبُو مُوسَى مَكَّةَ آيِباً إلى بَلَدِهِ فِي اليَمَـنِ، وَبَـدَأَ هُنَـاكَ يُعَرِّفُ بِإِسْلاَمِهِ وَيَدْعُو النَّاسَ إلَيْهِ حَتَّى أَخَوَاهُ أَبُو رُهْمٍ، وَأَبُو بُرْدَةَ، وَهُمَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنّاً، كَمَا أَسْلَمَ عَدَدٌ آخَرُ مِنْ أَبْنَاءِ بَلَدِهِ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى فِي ذَلِكَ يَتَقَصَّى أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَارَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَاءَتْهُ الْمَعْلُومَاتُ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مِنَ ظُلْمِ قُرَيْشٍ لَهُمْ، وَخَوْفاً مِنْ أَنْ تَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَمِنْهِمْ خَالِدُ وَعَمْرُو ابْنَا سَعِيدِ بن العَاصِ فَرَغِبَ فِي اللَّحَاقِ بِهِمْ، فَرَكِبَ وَأَخَوَاهُ وَآخَرُونَ مِنْ مُسْلِمِي بَلَدِهِ، يَجْعَلُهُمْ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ بِضْعَاً وَخَمْسِينَ مُسْلِمَاً، سَفِينَةً قَادَتْهُمْ إِلَى سَاحِلِ الحَبَشَةِ فَنَزَلُوا هُنَاكَ حَيْثُ كَانَ المُهَاجِرُون الْمُسْلِمُونَ، وَتَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ هُنَا، فَبَعْضُهَا يَجْعَلُ وُصولَهُمْ بَعْدَ وُصُولِ مُهَاجِرِي مَكَّةَ بِأَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ، وَبَعْضُهَا يَجْعَلُ نُزولَهُمْ عَلَى سَاحِلِ الحَبَشَةِ فِي الوَقْتِ الَّذِيْ كَانَ فِيْهِ مُهَاجِرُو الحَبَشَةِ عَلَى السَّاحِلِ يَسْتَعِدُّونَ لِلسَّفَرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي المَدِينَةِ، فَسَافَرُوا مَعاً، وَهَذَا مَا نَمِيلُ إِلَيْهِ، وَفِي كِلاَ الحَالَتَيْنِ كَانَ وُصُولُ أَبِي مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَى المَدِينَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي خَيْبَرَ قَدْ سَارَ لِفَتْحِهَا، وَهُنَاكَ مَنْ لاَ يَذْكُرُ هَذِهِ الأَخْبَارَ كُلَّهَا.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَصَلَ أَبُو مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مَعَ جَعْفَرِ بن أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ بِثَلاَثَةِ

أَيَّامٍ. وَقَدْ سُرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِوُصُولِ جَعْفَرٍ، وقَالَ لأَصْحَابِهِ: «يُقْدِمُ عَلَيْكُمْ غداً قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوباً لِلإِسْلاَمِ مِنْكُمْ» فقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ، فَلَمَّا دَنَوْا جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ:

غَدَاً نَلْقَى الأَحِبَّهْ مُحَمَّدَاً وَحِزْبَهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمُصَافَحَةَ(١).

وَصَحِبَ أَبُو مُوسَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا، وَقَدْ مَشَى مَعَهُ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ، وَانْطَلَقَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فِي حُنَيْنٍ أَتَوْا الطَّائِفَ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بنُ عَوْفٍ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطَاسٍ، وَتَوَجَّهَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَخْلَةَ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَا عَامِرٍ الأَشْعَرِيَّ فِي آثَارِ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى أَوْطَاسٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو عَامِرٍ، وَلَكِنَّهُ رُمِيَ بِسَهْمٍ فَقُتِلَ. فَجَاءَ أَبُو مُوسَى إِلى أَبِي عَامِرٍ، وَهُوَ ابنُ عَمِّهِ، وَكَانَ مَعَهُ، وَقَالَ لَهُ: مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِ فَقَصَدَهُ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٥ و ٢٢٣، وابن عساكر: ٤٥٦، وابن سعد ٤/ ١٠٦.

يَقُولُ أَبُو مُوسى: فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى ذَاهِباً. فَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلاَ تَسْتَحِي؟ أَلَسْتَ عَرَبِيّاً؟ أَلاَ تَثْبُتُ؟ قَالَ: فَكَفَّ، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ فَقُلْتُ: قَدْ قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ. فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَا مِنْهُ المَاءُ. فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْرِهِ مِنِّي السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرُ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيراً، ثُمَّ مَاتَ. فَلَمَّا قَدِمْنَا، وَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ» فَقُلْتُ: وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً»(١).

وَرَوَى أَبُو مُوسَى فَقَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالجِعْرَانَةِ، فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلاَ تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي؟ قَالَ: «أَبْشِرْ» قَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ البُشْرَى. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَى بِلاَلٍ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ البُشْرَى

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٤ في المغازي باب غزوة أوطاس، ومسلم ٢٤٩٨ في فضائل الصحابة.

فَاقْبَلاَ أَنْتُمَا»، فَقَالاَ: قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَدَعَا بِقَدَحٍ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيْهِ، وَمَجَّ فِيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبَا مِنْهُ، وَأَفْرِغَا عَلَى رُؤُوسِكُمَا وَنُحُورِكُمَا» فَفَعَلاَ! فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ فَضِّلاَ لأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلاَ لَهَا مِنْهُ[1].

كَانَ أَبُو مُوسَى حَسَنَ الصَّوْتِ، حَسَنَ الأَدَاءِ، حَسَنَ التَّرْتِيلِ. قَالَ بُرَيْدَةُ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ المَسْجِد، فَإِذَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ قَائِمٌ، وَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَالَ لِي: «يَا بُرَيدَةُ، أَتَرَاهُ يُرَائِي؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَقَدْ أُعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا هُوَ أَبُو مُوسَى؛ فَأَخْبَرْتُهُ[2].

وَرَوَى بُرَيْدَةُ فَقَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى المَسْجِدِ، وَأَنَا عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي المَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي يَدْعُو، يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. قَالَ: «وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِيْ

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ٣٧، ومسلم ٢٤٩٧.
(٢) أخرجه مسلم.

إذَا سُئِـلَ بِهِ أَعْطَـى، وَإِذَا دُعِـيَ بِهِ أَجَـابَ». وَإِذَا رَجُلٌ يَقْرأ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُعْطِيَ هَذَا مِزْمَـاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُخْبِرُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: لاَ تَزَالُ لِي صَدِيقاً. وَإِذَا هُوَ أَبُو مُوسَى[1].

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، أَبَـا مُوسَـى وَمُعَـاذاً إِلَى زَبِيدٍ وَعَدَنٍ وَذَلِكَ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ.

وَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، وَهُـوَ عَنْـهُ رَاضٍ.

وَلأَبِي مُوسَى تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ حَدِيثاً فِي الصَّحِيحَيْنِ، تَفَرَّدَ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ مِنْهَا، وَمُسْلِمٌ بِخَمْسَةَ عَشَرَ حَدِيثَـاً، وَاتَّفَقَـا عَلَى ثَلاَثِينَ مِنْهَـا. وَلَـهُ فِي مُسْنَـدِ بَقِيٍّ بـنِ مَخْلَـدٍ ثَلاَثُمائَـةٍ وَسِتُّونَ حَدِيثاً.

قَالَ أَبُو مُوسَى: وَوُلِدَ لِي غُلاَمٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُـولَ اللَّـهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَنَّكَهُ بِتَمْـرَةٍ. وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٩.

مَعَ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، كَانَ أَبُـو مُوسَى قَدْ بَلَغَ الثَّانِيَةَ وَالثَّلاَثِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ إذْ لَمْ يَدْخُلْ غِمَارَ مَعَارِكَ جَرَى فِيهَا قِتَالٌ ضَارٍ كَغَزْوَةِ بَدْرٍ أَوْ أُحُدٍ إذْ كَانَ يَوْمَهَا فِي الحَبَشَةِ، وَلَمْ يَجْرِ قِتَـالٌ قَاسٍ فِيمَا بَعْدُ فِي المَعَارِكِ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا مِثْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَغَزْوَةِ تَبُوكَ و. . . وَلَكِنْ عُرِفَ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، بِحُسْـنِ أَدَاءِ القُـرْآنِ الـكَرِيمِ، وَالصَّوْتِ الحَسَنِ، كَمَا بَرَزَ فِي مَعْرِفَتِهِ لِلأَحْكَامِ. فَلَمَّا تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْطَلَقَتِ الجُيُوشُ انْخَرَطَ فِيهَـا، وَسَارَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ بَيْنَ الَّذِينَ اتَّجَهُوا نَحْـوَ العِرَاقِ، فَبَرَزَ يَوْمَهَا، وَظَهَـرَتْ شَجَاعَتُـهُ، وَبَـدَتْ كَفَاءَتُـهُ القِتَالِيَّةُ، وَكَانَتْ قَدْ تَقَدَّمَتْ سِنُّهُ، وَغَدَا مُؤَهَّلاً لِلْقِيَادَةِ، فَلَمَّا جَاءَتْ خِلاَفَةُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الأَنْظَارُ، وَأُسْنِدَتْ إِلَيْهِ القِيَادَةُ.

مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَّ اللَّـهُ عَنْهُ

بَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى سَعْدِ بـنِ أَبِي وَقَّاصٍ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَى المُسْلِمِينَ الشَّامَ وَالعِرَاقَ، فَابْعَثْ مِنْ عِنْدِكَ جُنْدَاً إِلَى الجَزِيرَةِ، وَأَمِّرْ عَلَيْهِمْ أَحَدَ الثَّلاَثَةِ: خَالِدَ بنَ عُرْفُطَةَ، أَوْ هَاشِمَ بنَ عُتْبَةَ، أَوْ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ . فَأَرْسَلَ سَعْدُ إِلَى الجَزِيرَةِ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ، فَنزَلَ عَلَى الرُّهَاءِ فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى الجِزْيَةِ، وَصَالَحَتْ حَرَّانُ، ثُمَّ بَعَثَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ إِلَى نَصِيبِينَ فَفَتَحَهَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ.

الْتَحَقَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ بِأَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ بِالشَّامِ وَكَانَ أَبُو مُوسَى مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يَوْمَ وَقَعَ طَاعُونُ عَمْوَاسَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَنْزَلْتَ النَّاسَ أَرْضَاً غَمِقَةً، فَارْفَعْهُمْ إِلَى أَرْضٍ مُرْتَفِعَةٍ نَزِهَةٍ. فَلَمَّا أَتَاهُ الكِتَابُ دَعَا أَبَا مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُوسَى، إِنَّ كِتَابَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ قَدْ جَاءَنِي بِمَا تَرَى، فَاخْرُجْ فَارْتَدْ لِلنَّاسِ مَنْزِلاً حَتَّى أَتْبَعَكَ بِهِمْ، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَرْتَحِلَ، فَوَجَدَ صَاحِبَتَهُ قَدْ أُصِيبَتْ، فَرَجَعَ

إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِي حَدْثٌ، فَقَالَ: لَعَلَّ صَاحِبَتَكَ أُصِيبَتْ، فَقَالَ: نَعَم. فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِبَعِيرِهِ فَرُحِلَ لَهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي غَرْزِهِ طُعِنَ.

شَكَا بَعْضُ أَهْلِ البَصْرَةِ إِلَى عُمَرَ بن الخَطَّاب عَامِلَهُ عَلَى مَدِينَتِهِمْ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ، فَبَعَثَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى: يَا أَبَا مُوسَى، إِنِّي مُسْتَعْمِلُكَ، إِنِّي أَبْعَثُكَ إِلَى أَرْضٍ قَدْ بَاضَ بِهَا الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ، فَالْزَمْ مَا تَعْرِفُ، وَلاَ تَسْتَبْدِلْ فَيَسْتَبْدِلُ اللَّهُ بكَ. فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَعِنِّي بِعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَإِنِّي وَجَدْتُهُمْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ وَهَذِهِ الأَعْمَالِ كَالمِلْحِ لاَ يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلاَّ بِهِ. فَقَالَ لَهُ: اسْتَعِنْ بِمَنْ شِئْتَ، فَاسْتَعَانَ بِتِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ: أَنَسُ بنُ مَالِكٍ. ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مُوسَى فِيهِمْ حَتَّى أَنَاخَ بِالمِرْبَدِ. وَبَلَغَ المُغِيرَةَ أَنَّ أَبَا مُوسَى قَدْ أَنَاخَ بِالمِرْبَدِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا جَاءَ أَبُو مُوسَى زَائِراً وَلاَ تَاجِراً وَلَكِنَّهُ جَاءَ أَمِيراً. فَإِنَّهُمْ لَفِي ذَلِكَ. إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَدَفَعَ أَبُو مُوسَى إِلَى المُغِيرَةِ كِتَابَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَفِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَبَعَثْتُ أَبَا مُوسَى أَمِيراً، فَسَلِّمْ إِلَيْهِ مَا فِي يَدِكَ، وَالعَجَلَ.

وَكَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ البَصْرَةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ

بَعَثْتُ أَبَا مُوسَى أَمِيراً عَلَيْكُمْ، لِيَأْخُذَ لِضَعِيفِكُمْ مِنْ قَوِيِّكُمْ، وَلِيُقَاتِلَ بِكُمْ عَدُوَّكُمْ، وَلِيَدْفَعَ عَنْ ذِمَّتِكُمْ، وَلِيُحْصِيَ لَكُمْ فَيْئَكُمْ ثُمَّ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَكُمْ، وَلِيُنَقِّيَ لَكُمْ طُرُقَكُمْ.

ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ نَقَلَ أَبَا مُوسَى أَمِيراً مِنَ البَصْرَةِ إِلى الكُوفَةِ، وَحَلَّ مَكَانَهُ عُمَرَ بنَ سُرَاقَةَ، وَلَكِنْ لَمْ يَمْضِ العَامُ حَتَّى رَجَعَ كُلٌّ إِلَى إِمَارَتِهِ الأُولَى، أَبُو مُوسَى إِلى البَصْرَةِ، وَعُمَرُ بنُ سُرَاقَةَ إِلَى الكُوفَةِ. وَكَانَ أَبُو مُوسَى فِي إِمْرَتِهِ يَقُودُ أَهْلَ البَصْرَةِ فِي جِهَادِ الفُرْسِ، وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي فَتْحِ الأَهْوَازِ وَأَصْبَهَانَ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلى الجِهَادِ وَالفَتْحِ وَلَّى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَكَانَ أَبِي مُوسَى عَلَى إِمْرَةِ البَصْرَةِ، فَإِنْ رَجَعَ مِنَ الجِهَادِ عَادَ إِلَى إِمَارَتِهِ.

وَتُوُفِّيَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَأَبُو مُوسَى أَمِيرُ البَصْرَةِ.

قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: بَعَثَنِي الأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ تَرَكْتَ الأَشْعَرِيَّ؟ فَقُلْتُ: تَرَكْتُهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ القُرْآنَ، فَقَالَ: أَمَا أَنَّهُ كَيِّسٌ، وَلاَ تُسْمِعْهَا إِيَّاهُ[1].

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: بِالشَّامِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ كَانَ يَلِي أَمْرَ أُمَّةٍ إِلاَّ أَجْزَاهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَجَاءَ رَهْطٌ

---

(١) طبقات ابن سعد.

مِنْهُمْ فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ لأُرْسِلَكَ إِلَى قَوْمٍ عَسْكَرَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: فَلاَ تُرْسِلْنِي، فَقَالَ: إِنَّ بِهَا جِهاداً أَوْ إِنَّ بِهَا رِباطاً، قَالَ: فَأَرْسَلَهُ إِلَى البَصْرَةِ(١).

وَأَوْصَى عُمَرُ أَنْ يُتْرَكَ أَبُو مُوسَى بَعْدَهُ سَنَةً، أَيْ فِي عَمَلِهِ(٢).

كَانَ عُمَرُ يَقُولُ لأَبِي مُوسَى: ذَكِّرْنَا رَبَّنَا، فَيَقْرَأُ أَبُو مُوسَى عَلَيْهِ القُرْآنَ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ(٣).

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ: إِنَّ العَرَبَ هَلَكَتْ فَابْعَثْ إِلَيَّ بِطَعَامٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الطَّعَامِ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَى الأَمْصَارِ فَيَجْتَمِعُونَ فِي يَوْمٍ فَيَخْرُجُونَ فِيهِ فَيَسْتَسْقُونَ. فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَهْلِ الأَمْصَارِ، فَخَرَجَ أَبُو مُوسَى فَاسْتَسْقَى وَلَمْ يُصَلِّ(٤).

(١، ٢، ٣، ٤) طبقات ابن سعد.

مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُ

أَقَرَّ عُثْمَانُ عَلَى وِلاَيَةِ البَصْرَةِ أَبَا مُوسَى فَكَانَ نِعْمَ الوَالِي، وَنِعْمَ المُرَبِّي، وَنِعْـمَ المُعَلِّـمُ، إِذَا كَانَ الجِهَـادُ كَانَ اللَّيْثَ الهَصُورَ حَتَّى يَظُنَّ المَرْءُ أَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ اللِّينَ، فَإِذَا رَجَـعَ مِنَ الجِهَادِ كَانَ مُعَلِّماً لِرَعِيَّتِهِ يُقْرِئُهُمُ القُرْآنَ، وَيُفَقِّهُهُمْ، وَيَرْعَى شُؤُونَهُمْ حَتَّى لَيَتَوَقَّعُ الإِنْسَانُ أَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ الشِّدَّةَ وَلاَ يُمْكِنُـهُ القِتَالُ. غَيْرَ أَنَّ سُكَانَ البَصْرَةِ يَوْمَذَاكَ لاَ يَصْلُحُ مَعَهُمُ اللِّينُ، وَلاَ يَخْضَعُونَ إِلاَّ بِالشِّدَّةِ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ أَبُو مُوسَى الخَمْسِينَ مِنَ العُمْرِ، وَاشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْباً، وَكَانَ قَصِيراً مِمَّا جَعَلَ سُكَانَ البَصْرَةِ يُبَالِغُونَ فِي سِنِّهِ، فَطَلَبُوا مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ تَوْلِيَةَ شَابٍ عليهم كَيْ يَكُونَ حَازِماً، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ لِينَ أَبِي مُوسَى بِسَبَبِ عُمْرِهِ فَعَزَلَهُ عُثْمَانُ عَامَ تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَوَلَّى مَكَانَهُ عَبْـدَ اللَّهِ بنَ عَامِرِ بنِ كُرَيْزٍ.

انْتَقَلَ أَبُو مُوسَـى إِلَـى الكُوفَـةِ وَأَقَـامَ فِيْهَـا، وَكَانَ عَلَيْهَـا الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ ثُمَّ سَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَكَانَ سَعِيدُ شَابّاً، فِيهِ حَيَوِيَّةُ الشَّبَابِ، وَفِيهِ حَمَاسَةُ الشَّبَابِ، وَهَذَا لاَ يُنَاسِبُ أَهْلَ الكُوفَةِ يَوْمَذَاكَ، وَقَـدْ بَدَأَتِ الفِتْنَـةُ وَخَضَـدَ سَعِيدُ شَوْكَتَهَـا،

فَحَاصَ مَنْ فِيْهَا مِنْ أَهْلِ الشّرِّ، حَتَّى إذَا اسْتَدْعَى الخَلِيفَةُ أُمَرَاءَ الأَمْصَارِ إلَى المَدِينَةِ لِلْمُشَاوَرَةِ وَمِنْهُمْ سَعِيدُ تَحَرَّكَ المُفْسِدُونَ، وَحَالُوا دُونَ عَوْدَةِ أَمِيرِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنَ الخَلِيفَةِ تَوْلِيَةَ أَبِي مُوسَى عَلَيْهِمْ، فَوَافَقَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَمَّرَهُ، وَذَلِكَ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَثَلاثِينَ لِلْهِجْرَةِ. وَقُتِلَ الخَلِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ خَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ (١٨ ذي الحجة) وَأَبُو مُوسَى أَمِيرُ الكُوفَةِ، وَأَهْلُهَا رَاضُونَ عَنْهُ.

مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَظُمَ عَلَى أَبِي مُوسَى مَا حَلَّ بِالمُسْلِمِينَ، وَصَعُبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرَاهُمْ فِرْقَتَيْنِ، وَعَلَى رَأْسِ كُلِّ فِرْقَةٍ أَحَدُ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَخَلِيفَةُ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ عَلَى رَأْسِ فِرْقَةٍ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَفِيَّةَ، وَمَعَهُ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكِلاهُمَا مُبَشَّرٌ بِالجَنَّةِ كَعَلِيٍّ، هَذَا إضَافَةً إلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لِذَا فَقَدْ رَأَى أَبُو مُوسَى العُزْلَةَ رَيْثَمَا تُفْرَجُ الغُمَّةُ وَتَتَّفِقُ الأُمَّةُ.

بَعَثَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ إلَى أَهْلِ الكُوفَةِ مُحَمَّدَ بنَ أَبِي بكْرٍ وَمُحَمَّدَ بنَ عَوْنٍ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا إلَى أَهْلِ الكُوفَةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي اخْتَرْتُكُمْ وَالنُّزُولَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لِمَا أَعْرِفُ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ جَاءَنِي وَنَصَرَنِي فَقَدْ أَجَابَ الحَقَّ وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ.

جَاءَ النَّاسُ إلَى أَبِي مُوسَى يَسْتَشِيرُونَهُ فِي الخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَمَّا سَبِيلُ الآخِرَةِ فَأَنْ تُقِيمُوا، وَأَمَّا سَبِيلُ الدُّنْيَا فَأَنْ تَخْرُجُوا، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ. وَبَلَغَ المُحَمَّدَيْنِ قَوْلُ أَبِي مُوسَى، فَبَايَنَاهُ وَأَغْلَظَا لَهُ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إنَّ بَيْعَةَ عُثْمَانَ فِي عُنُقِي وَعُنِقِ صَاحِبِكُمَا الَّذِي أَرْسَلَكُمَا، إنْ أَرَدْنَا أَنْ نُقَاتِلَ لاَ نُقَاتِلُ حَتَّى لاَ يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ.

أَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ إلَى أَبِي مُوسَى عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبَّاسٍ، وَالأَشْتَرَ النَّخْعِيَّ، فَقَدِمَا الكُوفَةَ، وَكَلَّمَا أَبَا مُوسَى، وَاسْتَعَانَا عَلَيْهِ بِأُنَاسٍ مِنَ الكُوفَةِ، فَجَمَعَ أَبُو مُوسَى النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ صَحِبُوهُ فِي المَوَاطِنِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ لَمْ

يَصْحَبْهُ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنا حَقّاً فَأَنا مُؤَدِّيهِ إِلَيْكُمْ. كَانَ الرَّأْيُ أَلاَّ تَسْتَخِفُّوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلاَ تَجْتَرِئُوا عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ الرَّأْيُ الثَّانِي أَنْ تَأْخُذُوا مَنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ المَدِينَةِ فَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْتَمِعُوا، وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الإِمَامَةُ مِنْكُمْ، وَلاَ تَكَلَّفُوا الدُّخُولَ فِي هَذَا، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَا كَانَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ اليَقْظَانِ، وَاليَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَاعِدِ، وَالقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، فَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَاثِيمِ العَرَبِ، فَأَغْمِدُوا السُّيُوفَ، وَأَنْصِلُوا الأَسِنَّةَ، وَاقْطَعُوا الأَوْتَارَ، وَآوُوا المَظْلُومَ وَالمُضْطَهَدَ حَتَّى يَلْتَئِمَ هَذَا الأَمْرُ، وَتَنْجَلِيَ هَذِهِ الفِتْنَةُ.

رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ وَالأَشْتَرُ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَاهُ بِمَا كَانَ، فَدَعَا عَلِيٌّ ابْنَهُ الحَسَنَ وَبَعَثَهُ وَمَعَهُ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى وَأَهْلِ الكُوفَةِ. فَقَالَ الحَسَنُ: يَا أَبَا مُوسَى، لِمَ تُثَبِّطُ النَّاسَ عَنَّا! فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الإِصْلاَحَ، وَلاَ مِثْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ يُخَافُ عَلَى شَيْءٍ. فَقَالَ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَلَكِنَّ المُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنَ

الرَّاكِبِ» ؛ قَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ إِخْوَاناً، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا أَمْوَالَنَا وَدِمَاءَنَا، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾(١). وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾(٢). وَقَامَ عَمَّارُ يَتَكَلَّمُ، وَقَامَ غَيْرُهُ، وَحَدَثَ تَبَايُنٌ فِي الآرَاءِ، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ جَاءَ الأَشْتَرُ النَّخْعِيُّ، وَدَخَلَ قَصْرَ الإِمَارَةِ وَتَسَلَّمَ الوِلاَيَةَ. وَكَانَ الحَسَنُ بنُ عَليٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَفَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا غَادٍ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مَعِي عَلَى الظَّهْرِ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْرُجْ فِي المَاءِ، فَنَفَرَ مَعَهُ تِسْعَةُ آلافٍ(٣). وَاعْتَزَلَ أَبُو مُوسَى، وَبَقِيَ فِي الكُوفَةِ.

وَحَدَثَتْ مَعْرَكَةُ الجَمَلِ وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِيْهَا أَبُو مُوسَى، ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ صِفِّينَ وَلَمْ يُشَارِكْ فِيْهَا أَيْضاً، وَلَمْ يُؤَيِّدْ طَرَفاً دُونَ الآخَرِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفِ القِتَالُ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ إلاَّ بِالتَّفَاهُمِ عَلَى التَّحْكِيمِ.

رَفَضَ أَهْلُ الكُوفَةِ أَنْ يُمَثِّلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ إذْ عَدُّوهُ

---

(١) سورة النساء الآية ٢٩.
(٢) سورة النساء الآية ٩٣.
(٣) تاريخ الطبري.

كَأَنَّهُ عَلِيٌّ نَفْسُهُ، كَمَا رَفَضُوا الأَشْتَرَ النَّخْعِيَّ لأِنَّهُ كَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَى خُصُومِهِمْ، وَيَرونَهُ أَنَّهُ لاَ يَعْرِفُ حَلاً سِوَى السَّيْفِ، وَأَصَرُّوا أَنْ يَكُونَ أَبُو مُوسَى هُوَ المُمَثِّلُ لَهُمْ فِي التَّحْكِيمِ فَهُوَ الَّذِي يُرِيدُ الإِصْلاَحَ وَوَقْفِ سَفْكِ دِمَاءِ المُسْلِمِينَ، وَاضْطَرَّ عَلِيٌّ أَنْ يَرْضَخَ لِرَأْيِ هَذِهِ الفِئَةِ مِنْ جَمَاعَتِهِ، وَكَانَ أَبُو مُوسَى مُمَثِّلاً طَرَفَ عَلِيٍّ. وَلَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ مُوَافِقاً عَلَى هَذَا الاخْتِيَارِ وَلَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمِنْ لاَ يُطَاعُ.

وَجَاءَ المَوْعِدُ المَضْرُوبُ لِلتَّحْكِيمِ وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَثَلاَثِينَ وَالْتَقَى الحَكَمَانِ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَمَعَ كُلِّ طَرَفٍ جَمْعٌ مِنْ أَنْصَارِهِ.

لَمْ يَكُنْ أَبُو مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يُصَوِّرُهُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ رَجُلٌ بَسِيطٌ، يُلْعَبُ عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي الوَاقِعِ رَجُلاً فَذّاً عَارِفاً لِلأُمُورِ مُحِيطاً بِأَبْعَادِهَا، فَكَانَ يَرَى أَنَّ اجْتِمَاعَ كَلِمَةِ الأُمَّةِ أَسَمَى مِنْ مَصْلَحَةِ الرِّجَالِ وَالمَرَاكِزِ مَهْمَا كَانَ أُولَئِكَ الرِّجَالُ، لِذَلِكَ كَانَ يَرَى أَنَّهُ لاَ مَانِعَ مِنْ أَنْ يَتَخَلَّى عَلِيٌّ عَنِ الخِلاَفَةِ وَيُعْزَلَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الإِمْرَةِ حَتَّى يَلْتَئِمَ صَفُّ المُسْلِمِينَ وَتَعُودَ إِلَيْهِمْ وَحْدَتُهُمْ، مَعَ يَقِينِهِ بِأَهْلِيَّةِ عَلِيٍّ وَصَلاَحِهِ، وَحَقِّهِ

وَشَرْعِيَّةِ خِلاَفَتِهِ غَيْرَ أَنَّ وَحْدَةَ المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ مِنَ الرِّجَالِ. وَيَجِبُ أَنْ تُقَدَّمَ، وَيُعْمَلَ لَهَا وَيُسعَى مِنْ أَجْلِهَا. وَمَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّ مُعَاوِيَةَ لَيْسَ سِوَى أَمِيرٍ، وَلاَ عَلاَقَةَ لَهُ بِالخِلاَفَةِ وَإِنَّمَا مَوْضُوعُ الخِلاَفَةِ مَحْصُورٌ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فَهُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَنِ الَّذِي يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ، وَمَعَ اعْتِرَافِهِ بِخَطَإِ اجْتِهَادِ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ الشَّيْخُ الهَرِمُ كَمَا يُصَوِّرُهُ المُؤَرِّخُونَ، إِذْ لَمْ تَكُنْ سِنُّهُ لِتَزِيدَ عَلَى التَّاسِعَةِ وَالخَمْسِينَ، وَإِنْ كَانَ شَيْبُهُ وَقِصَرُهُ لَيُوحِيَانِ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا، وَكَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَكْبَرَ مِنْهُ بِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى خِلاَفِ مَا تَرْوِي كُتُبُ التَّارِيخِ.

وَلَمْ يَكُنْ عَمْرُو بنُ العَاصِ كَمَا يُصَوِّرُهُ المُؤَرِّخُونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ المُخَادِعَ الَّذِي يَبِيعُ دِينَهُ وَلاَ يَرَى إِلاَّ مَصْلَحَتَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي الوَاقِعِ يَرَى أَنَّ الَّذِينَ اتُّهِمُوا فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَغْمَ انْتِقَادِهِ لِتَصَرُّفَاتِ عُثْمَانَ يَوْمَ كَانَ حَيّاً، لاَ يَزَالُونَ أَحْيَاءَ لَمْ يُقَمْ عَلَيْهِمْ حَدٌّ، وَلَمْ تُبَرَّأْ سَاحَتُهُمْ، وَهُمْ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ وَمِنْ أَصْحَابِ الكَلِمَةِ، وَمِنْهُمْ: الأَشْتَرُ النَّخْعِيُّ،

وَعَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ وَغَيْرِهِمَا، لِذَا كَانَ يَرَى إبْقَاءَ مُعَاوِيَةَ فِي إمْرَتِهِ مَا دَامَ يُمَثِّلُ المُطَالَبَةَ بِإقَامَةِ الحدِّ عَلَى القَتَلَةِ، وَيَجِبُ أَلاَّ يُعْزَلُ، ومَا عَزَلَهُ عَلِيٌّ الخَلِيفَةُ الجَدِيدُ إلاَّ لِهَذَا، ولَكِنْ يَجِبُ التَّمَسُّكُ بِهِ.

وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّبَايُنَ فِي وِجْهَاتِ النَّظَرِ سَيُؤَدِّي إلى فَشَلِ التَّحْكِيمِ، وَهَذَا مَا تَمَّ، غَيْرَ أَنَّ المُؤَرِّخِينَ قَدْ قَدَّمُوا مَوْضُوعَ التَّحْكِيمِ لِلنَّاسِ بِطَرِيقَةٍ قَصَصِيَّةٍ مُشَوَّهَةٍ تَمَاماً.

فَشِلَ الحَكَمَانِ في الوُصُولِ إلَى اتِّفَاقٍ وَعَادَ كُلُّ طَرَفٍ إلى مَقَرِّهِ، وَانْشَقَّ الخَوَارِجُ عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَاتَلَهُمْ وَنَكَبَهُمْ، وَأَخِيراً قَرَّرُوا التَّخَلُّص مِنْ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةَ، وَعَمْرٍ، وَحَدَّدُوا يَوْمَ السَّابعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ أَرْبَعِين لِلْهِجْرَةِ مَوْعِداً لِتَنْفِيذِ مُؤَامَرَتِهِمْ. وَجَاءَ المَوْعِدُ المَضْرُوبُ، وَقُتِلَ عَلِيٌّ، وَأُصِيبَ مُعَاوِيَةُ، وَنَجَا عَمْرٌو إذِ اشْتَكَى يَوْمَهَا بَطْنَهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ لِلصَّلاَةِ، وَأَوْكَلَ خَارِجَةَ بِالصَّلاَةِ فَقُتِلَ خَارِجَةُ وَنَجَا هُوَ.

بَايَعَ أَهْلُ العِرَاقِ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَكَانَ أَبِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَجَدَ فِي اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ المُسْلِمِينَ خَيْراً مِنْ بَقَاءِ الفِرْقَةِ، وَلَوْ كَانَ فِيْهِ تَنَازُلٌ، فَصَالَحَ

مُعاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتَنَازَلَ لَهُ، فَالتَأَمَ شَمْلُ الأُمَّةِ، وَغَدَا مُعاوِيَةُ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ.

مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

بَعْدَ تَنَازُلِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَصْبَحَ مُعَاوِيَةُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَعُدْ عُذْرٌ لأَبِي مُوسَى فِي العُزْلَةِ فَجاءَ وَبَايَعَ.

قَدِمَ أَبُـو مُوسَى عَلَى مُعَـاوِيَةَ، فَنَـزَلَ فِي بَعْضِ الـدُّورِ بِدِمَشْقَ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنَ اللَّيْلِ لِيَسْتَمِعَ قِرَاءَتَهُ.

كَانَ مُعَاوِيَةُ يُحِبُّ أَبَا مُوسَى، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلاَفٍ مَعَهُ، وَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً يُحِبُّ بَعْضُهُـمْ بَعْضَـاً وَإِنْ تَبَـايَنَ اجْتِهَادُهُـمْ، وَإِنْ وَقَـعَ قِتَـالٌ بَيْنَهُـمْ بِسَبَـبِ هَذَا الاجْتِهَـادِ. فَالحُبُّ فِي اللَّهِ وَاجِـبٌ وَلَيْسَ مِنَ الضَـرُورَةِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُ الجَمِيعِ وَاحِداً. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ بنُ أَبِي مُوسَى: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ أَصَابَتْهُ قَرْحَتُهُ فَقَالَ: هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي تَحَوَّلْ فَانْظُرْ، قَالَ: فَتَحَوَّلْتُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هِي قَدْ سُبِرَتْ (يَعْنِـي قَرْحَتَـهُ) فَقُلْـتُ: لَيْسَ عَلَيكَ بَأْسٌ يَا أَمِيرَ المُـؤْمِنِينَ، قَالَ: إِذْ دَخَلَ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَـاوِيَةُ: إِنْ وُلِّيتَ

مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً فَاسْتَوْصِ بِهَذَا فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَخاً لِي، أَوْ خَلِيلاً أَوْ نَحْوِ هَذَا مِنَ القَوْلِ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي القِتَالِ مَا لَمْ يَرَ[1].

وَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَلَمَّا وُلِّيَ مُعَاوِيَةُ أَتَيْتُهُ، فَمَا أَغْلَقَ دُونِي بَاباً، وَلاَ كَانَتْ لِي حَاجَةٌ إِلاَّ قُضِيَتْ[2].

كَانَ أَبُو مُوسَى حَرِيصاً جِدّاً عَلَى المَوْعِدِ دَقِيقاً فِي تَنْفِيذِ مَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ، قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: قَالَ الأَشْعَرِيُّ، وَهُوَ عَلَى البَصْرَةِ، جَهِّزْنِي فَإِنِّي خَارِجٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلْتُ أُجَهِّزُهُ فَجَاءَ ذَلِكَ اليَوْمُ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ جَهَازِهِ شَيْءٌ لَمْ أَفْرُغْ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ إِنِّي خَارِجٌ، فَقُلْتُ: لَوْ أَقَمْتَ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ بَقِيَّةِ جَهَازِكَ، فَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ لأَهْلِي إِنِّي خَارِجٌ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَإِنِّي إِنْ كَذَبْتُ أَهْلِي كَذَبُونِي، وَإِنْ خُنْتُهُمْ خَانُونِي، وَإِنْ أَخْلَفْتُهُمْ أَخْلَفُونِي. فَخَرَجَ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ حَوَائِجِهِ بَعْضُ شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ[3].

كَانَ شَدِيدَ الحَيَاءِ. قَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: كَانَ أَبُو مُوسَى

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) سير أعلام النبلاء.
(٣) طبقات ابن سعد.

الأَشْعَرِيُّ إذَا نَامَ لَبِسَ تُبَّاناً عَنْدَ النَّومِ مَخَافَةَ أَنْ تَنْكَشِفَ عَوْرَتَهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ أَبُو مُوسَى إِذَا اغْتَسَلَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ تَجَاذَبَ وَحَنَى ظَهْرَهُ حَتَّى يَأْخُذَ ثَوْبَهُ، وَلاَ يَنْتَصِبُ قَائِماً. وَقَالَ أَبُو مُوسَى: إِنِّي لأَغْتَسِلُ فِي البَيْتِ المُظْلِمِ فَأَحْنِي ظَهْرِي حَيَاءً مِنْ رَبِّي. وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لأَغْتَسِلُ فِي البَيْتِ الخَالِي فَيَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنْ رَبِّي أَنْ أُقِيمَ صُلْبِي[1].

وَكَانَ أَبُو مُوسَى حَكِيماً، وَقَاضِياً عَادِلاً، يُضْرَبُ المَثَلُ بِعَدْلِهِ، وَيُشْهَرُ بِعِلْمِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: لاَ يَنْبَغِي لِلْقَاضِي أَنْ يَقْضِيَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الحَقُّ كَمَا يَتَبَيَّنُ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَقَدْ بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو مُوسَى. وَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْ كَلاَمِهِ: مَا كُنَّا نُشَبِّهُ كَلاَمَ أَبِي مُوسَى إِلاَّ بِالجَزَّارِ الَّذِيْ لاَ يُخْطِىءُ المِفْصَلَ.

وَكَانَ زَاهِداً فِي المَالِ مِعْطَاءً لَهُ، فَيَقُولُ ابْنُهُ أَبُو بُرْدَةَ: حَدَّثَتْنِي أُمِّي قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو مُوسَى حِينَ نُزِعَ عَنِ البَصْرَةِ وَمَا مَعَهُ إِلاَّ سِتُّمائَةِ دِرْهَمٍ عَطَاءُ عِيَالِهِ.

قَال الأَسْوَدُ بنُ يَزِيدَ: لَمْ أَرَ بِالكُوفَةِ أَعْلَمَ مِنْ عَلِيٍّ وَأَبِي مُوسَى[2].

---

(١) طبقات ابن سعد. (٢) ابن عساكر.

وَقَالَ مَسْرُوقُ: كَانَ القَضَاءُ فِي الصَّحَابَةِ إِلَى سِتَّةٍ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيٍّ، وَزَيْدٍ، وَأَبِي مُوسَى[1].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: يُؤْخَذُ العِلْمُ عَنْ سِتَّةٍ: عُمَرَ، وَعَبْدِ اللَّهِ، وَزَيْدٍ، يُشبِهُ عِلْمُهُمْ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَكَانَ عَلِيٌّ، وَأُبِيٌّ، وَأَبُو مُوسَى يُشْبِهُ عِلْمُهُمْ بَعْضُهُ بَعْضاً، يَقْتَبِسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ[1].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: قُضَاةُ الأُمَّةِ: عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَزَيْدٌ، وَأَبُو مُوسَى[1].

وَقَالَ صَفْوَانُ بنُ سُلَيمٍ: لَمْ يَكُنْ يُفْتِي فِي المَسْجِدِ زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَيْرُ هَؤُلاءِ، عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَمُعَاذُ، وَأَبُو مُوسَى.

كَانَ أَبُو مُوسَى إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، اسْتَقْبَلَ الصُّفُوفَ رَجُلاً رَجُلاً يُقْرِئُهُمْ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: قَدْ كَانَ أَبُو مُوسَى صَوَّاماً رَبَّانِيّاً زَاهِداً عَابِداً، مِمَّنْ جَمَعَ العِلْمَ وَالعَمَلَ وَالجِهَادَ وَسَلاَمَةَ الصَّدْرِ، لَمْ تُغَيِّرْهُ الإِمارَةُ، وَلاَ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا[2].

---

(١) ابن عساكر.

(٢) سير أعلام النبلاء.

وَفاةُ أَبِي مُوسَى

لَمَّا حضَرَ أَبَا مُوسَى المَوْتُ دَعَا بَنِيهِ فَقَالَ: انْظُرُوا إذَا أَنَا مِتُّ فلا تُؤْذِنُنَّ بِي أَحَداً وَلاَ يَتْبَعَنِّي صَوْتٌ وَلاَ نَارُ، وَلْيَكُنْ مُمْسِي أَحَدِكُمْ بِحِذَاءِ رُكْبَتَيَّ مِنَ السَّرِيرِ.

وَلَمَّا أُغْمِيَ عَلَيْهِ بَكَتْ عَلَيْهِ زَوْجُهُ ابْنَةُ الدُّومِيِّ أُمُّ أَبِي بُرْدَةَ فَقَالَ: أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَى لِبَنِيهِ: أَعْمِقُوا لِي قَبْرِي.

كَانَ أَبُو مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَصِيراً خَفِيفَ اللَّحْمِ، وَتُوفِّيَ فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ[1].

وَأَخِيراً فَإِنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي الهِجْرَةِ مِنْ بَلَدِهِ فِي سَبِيلِ الإِسْلاَمِ، وَلَهُ دَوْرٌ فِي الجِهَادِ وَالفُتُوحِ فِي العِرَاقِ، وَالجَزِيرَةِ، وَالأَهْوَازِ وَأَصْبَهَانَ. وَلَهُ دَوْرٌ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ، وَتَفْقِيهِ الرَّعِيَّةِ، كَمَا كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي إِدَارَةِ الدَّولَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً، وَقَدْ بَذَلَ جُهْداً فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الأُمَّةِ وَسَوَاءٌ وُفِّقَ أَمْ لَمْ يُوَفَّقِ فَإِنَّ لَهُ أَجْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَبِذَا فَهُوَ أَحَدُ بُنَاةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

---

(١) يوجد خلاف في سنة وفاته.